واشهرتاه

حينما دخلت الجامعة كنت متأثراً بكلام الناس عنها فكانوا يقولون إنه لا علم فى الجامعة وأن كل شىء بالوساطة فيها، وإنه لابد للطالب من أن يكون مشهوراً بين الأساتذة؛ لأن تلك الشهرة ستكون فى صالحه فى نيل الدرجات الرفيعة، وسعيت لتنفيذ كلام الناس؛ فمثلاً: طلب منا أحد الأساتذة يومًا ما إعداد بحث عن موضوع معين، فأعددت البحث وكتبت عليه تحت اسمى عنوان موقعي على الشبكة العالمية، فما حدث إلا أن تصفح الأستاذ موقعي، وأعجب بكتاباتي الصحفية، وفى المحاضرة التالية أشاد بى أمام الطلاب جميعاً، وأعلم سيادته وكيل الكلية، وبذلك جعله يتعرف عليَّ ويصافحني ويتحدث معى، وكنت إذا سرت في ساحة الكلية أتلقى السلامات من الموظفين والعمال وأفراد الأمن، وكنت أعتقد آنذاك أن هذه الشهرة ستفيدني جمًّا، ولكن الرياح أتت بما لا تشتهي السفن، فعندما أتت امتحانات أعمال السنة كان كل أستاذ يأتي إلى لجنتنا يترك الجميع ويأتى إليَّ لينظر فى ورقتي ويرى ما أكتبه كي يعرف هل أنا حقاً متفوق، أم أن شهرتي هذه عن فراغ ، وطبعاً هذا الأمر لم يكن فى صالحى فى معظم المواد، ومرت الأيام وكان رسوبي في الفصل الدراسي الأول

بعدها وجدت نفسي مشهوراً بالفشل والرسوب؛ فقد أصبحت شهرتي بالسوء، وحينها كانت الشهرة ضدى تماماً ؛ فبعدما حدث ما حدث حينما كنت أرى واحداً من الأساتذة الذين كانوا يشيدون بى قبل رسوبي كان لا ينظر إلى ولا يسلم عليَّ ولا يعطيني أي اهتمام، وقد تعلمت من ذلك أن أضرار الشهرة غالباً ما تكون أكثر وأقوى من فوائدها، وأنه عندما ينهار البناء تنتشر الجرذان؛ أي أنه إذا أحبك الناس وأشادوا بك فقد أحبوا أعمالك وأشادوا بها لا بشخصك، وإن تراجعت عن نجاحك فسيتراجعون عن حبهم لك وعن الإشادة بك، ويتجلى هذا الأمر فى حال لاعبي الكرة مثلا.

مرت الأيام وحضرت دورة تدريبية عن تصميم الأدوية بالحاسوب بكلية الصيدلة وكان رأيى في الدورة أنها سيئة للغاية، وقد كتبت تقريراً عن مساوىء الدورة في إحدى الصحف العربية، وشاء القدر أن يقرأ عميد كلية الصيدلة هذا التقرير، وبدوره استدعى رئيسة قسم الكيمياء الصيدلية الذي أقيمت به الدورة، وكانت المفاجأة عندما قرأت الأخيرة التقرير وتوقفت عيناها عند اسم كاتب التقرير وقالت: "محمود عبد القادر" هذا الاسم ليس غريباً عني، فقال لها العميد: "قد يكون صحفياً مشهوراً"، ولكنها سرعان ما ردت عليه وقالت: " تذكرته، هذا طالب بكلية الطب البيطري حضر الدورة معنا". لقد كان من الممكن أن يمر الأمر بسلام عادياً جداً، ولكن شهرتي وكون رئيسة القسم تعرفني جيداً هما اللذان تسببا في إضراري، فقد قاما معاً بإرسال شكوى في إلى عميد كليتي ليستدعينى بدوره وقال لي: أنت أول طالب فى كليتنا تُرسل فيه شكوى رسمية من ست صفحات مقدمة من عميد كلية الصيدلة.

وتذكرت أن من يملك الشهرة لا يتمتع بها قدر ما يشقى بها، فمثلاً الممثل أو لاعب الكرة المشهور لا يستطيع أن يسير بمفرده في الشارع ولا في الأماكن العامة، بل لابد أن يسير معه أفراد حراسة خاصة يتقاضون أموالاً باهظة.